

جماليات القصة القرآنية الموجهة للطفل (قصة هابيل وقابيل) أنموذجاً

The Aesthetics of Qur'anic Stories Directed at Children

"The Story of Abel and Cain as a Model"

سامية بوعجاجة¹

1 - مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة بسكرة ،الجزائر/ samia.bouadjadja@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2024/11/03 تاريخ القبول: 2024/12/13 تاريخ النشر: 2024/12/31

-Abstract This study is one of stories of "Quaran", it is the story of "Abel and Cain"

Which mentioned in surat "Al-Maeda" The Syrian writer Abdel-Razzaq-Al-kellani treated this story and other Quaranic and traditional stories in a simple way.

He used a bright language, addressed to the hearts and minds of generations, to direct them to the good and warm them against the road of error and evil. In this article,I shed light on the aesthetics of the quaranic story for children,I highlighted the idea, Sequential events,characters, spatial and Temporal environment.

Without losing sight of the definition of childrens stories because of its great role in education.

-Keywords:Quaranic stories, childrens stories,The story of abel and cain, The asthetics of the Quaranic story, The idea.

-الملخص: تتناول الدراسة قصة من القصص القرآني، وهي قصة "هابيل وقابيل" التي ورد ذكرها في سورة المائدة. وقد عالج الكاتب السوري (عبد الرزاق الكيلاني) هذه القصة وغيرها من القصص القرآني والتراثي بأسلوب مبسط، وبلغه ناصعة مشرقة مخاطبا وجدان وعقول الناشئة، ليوصلهم إلى البرّ ويحثهم على الخير، ويحذرهم من سلوك درب الضلالة والشر، وارتأينا في المقال تسليط الضوء على جماليات القصة القرآنية الموجهة لشريحة الأطفال، فأبرزنا عنصر: (الفكرة والأحداث والحبكة والشخصيات والبيئة المكانية والزمانية) دون إغفال التعريف بقصص الأطفال، لدوره العظيم في التربية والتعليم.

الكلمات المفتاحية: القصة القرآنية، قصص الأطفال، قصة هابيل وقابيل، جماليات القصة القرآنية، الفكرة.

المؤلف المرسل: سامية بوعجاجة

الاميل: samia.bouadjadja@univ-biskra.dz

جماليات القصة القرآنية الموجهة للطفل (قصة هابيل وقابيل) أنموذجاً

-تمهيد:

حينما نقرأ القرآن الكريم، ونتصفح سوره وآياته، نجده يقصّ علينا في أحيان كثيرة أخبار أمم عاشت من قبل ثم بادت. فيصوّر لنا فساد أخلاق قوم وكفرهم وعاقبة فجورهم، أو ينبئنا عن أخبار الطغاة والظالمين، الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، فكان جزاؤهم الهلاك والعذاب، كما يصوّر لنا النفس الإنسانية في حال جحودها وكبرها، ومقابلة أنعم الله وآلائه بالكفر والضلالة وقتل الأنبياء وتعذيبهم.

كما أنبأنا القرآن الكريم عن قصص الصالحين والمؤمنين بالله الحامدين لأنعمه، المصدقين بكتبه وأنبيائه، وقصّ علينا حكايات أنبيائه، وما ذاقوه من ألوان الخسف والظلم والاضطهاد، كقصة سيدنا نوح وإبراهيم وموسى ويوسف.. وغيرهم، لكنهم انتصروا في النهاية وتحقق التمكن والغلبة لدين الله.

ولذلك جاء القصص القرآني سامياً في مقاصده وغاياته، بعيداً في مراميّه وتوجيهاته، متكئاً على بلاغة ربّانية آسرة، مضمخاً بأسرار نورانية تشعّ بالحكمة والصدق، تعرض الحقائق، وتتبيّن النّبأ اليقين، قصد العظة والاعتبار والتدبّر في خبر من سبقنا من الأخيار أو الأشرار «كلّ هذا قصّه الله في قول بين، وأسلوب حكيم، ولفظ رائع، واقتنان عجيب ليدلّ النّاس على الخلق الكريم ويدعوهم إلى الإيمان الصّحيح، ويرشدهم إلى العلم النّافع، بأحسن بيان، وأقوم سبيل، وليكون مثلهم الأعلى فيما يسلكون من طرق التعليم، ونبراسهم فيما يصطنعون من وسائل الإرشاد» (السيد، د ت، صفحة 03)

أولاً: التعريف بأدب الأطفال وفنونه:

اهتم كثير من الدارسين العرب والغربيين بأدب الطفل، باعتباره أدباً هادفاً يوجه إلى شريحة مهمة من المجتمع هم أبناء اليوم ورجال الغد.

لذلك روعي في أدبهم أن يتناسب ومراحل نموهم، ومستوى تفكيرهم البسيط، موضوعاته واقعية أو تراثية بلغة قريبة التناول، بسيطة الألفاظ والتعبيرات، يقول أحد الدارسين: «أدب الأطفال هو كلّ ما يقدم للطفل من نصوص أدبية سواء أكان ذلك في صورة قصّة أم قصيدة أم مسرحية، بحيث تشتمل على أفكار وأخيلة، وتعبّر عن أحاسيس ومشاعر تتناسب ومستوى

سامية بوعجاجة

الطفل عقليا ولغويا ووجدانيا، وتبعث في نفسه الثقة والسّرور» (الوهاب، 2004/1425، صفحة 47)

أمّا القصة باعتبارها من أهمّ فنون الأدب؛ فمن أكثر الفنون جذبا للأطفال، وأشدّها تأثيرا في عقولهم وأفئدتهم، فهي «أقرب الفنون الأدبية إلى نفس الطفل وأحبّها عنده، تشدّه بأبطالها، وتثيره بأحداثها فيقبل عليها ويستمتع بها ويطلب المزيد منها مرّات عديدة» (حلاوة، 2005، صفحة 17)

ولذلك أُقبل الأدباء عليها تأليفا وترجمة، لما تحدثه في قلوب المستمعين والمتلقين من انفعالات، وما تبنّته من إحساسات وأخيلة، وقد عرّفها بعضهم بالقول إنّها: «شكل فني من أشكال الأدب الشائق فيه جمال ومتعة، وله عشاقه الذين ينتقلون في رحابه الشاسعة الفسيحة على جناح الخيال، فيطوفون بعوالم بديعة أو عجيبة مذهلة، أو غامضة تبهر الأبواب وتحبس الأنفاس» (الوهاب، 2004/1425، صفحة 48)

أمّا القصة الدينية، وخاصة تلك المستمدة من القرآن الكريم، فهي تنقل المتلقّي الصغير إلى عوالم الرّوح، وتحلّق به إلى أجواء الطهر والصدق والصفاء فتغرس في نفسه الفضائل بنصوص فيها نصح وتوجيه، وتربية على الدّين الصحيح والسلوك القويم حتّى يشبّ رجلا مؤمنا قويا في عقيدته، صادقا في سلوكه، نافعا لأُمّته، وهو نوع من القصص الذي «يتناول موضوعات دينيّة هي: العبادات والمعاملات وسير الأنبياء والرّسل، وقصص القرآن الكريم والكتب السّماوية، والبطولات والأخلاق الدينية، وما أعدّه الله تعالى لعباده من ثواب أو عقاب، وأحوال الأمم السالفة وعلاقتها بقضية الإيمان بالله تعالى، وموقفها من الخير والشر» (الوهاب، 2004/1425، صفحة 105)

وفي القصة القرآنية تحقق الجلال والجمال، فهو جميل في أسلوبه، لأنّه معروض بأسلوب التصوير الفني، والجمال البياني المؤثر المعجز.

ويحقّق الجلال، لأنّه يعرض لنا أخبارا أو معلومات عن التاريخ الماضي وأحداثه، وكل ما فيه هو حقّ وصدق، لا كذب فيه ولا تصرف بزيادة أو نقصان (الخالدي، 1998-1419، صفحة 29)

جماليات القصة القرآنية الموجهة للطفل (قصة هابيل وقابيل) أنموذجاً

والقص في القرآن كثير وعظيم، أخبر الله تعالى من خلاله قصص الأنبياء والصالحين، والكفرة الظالمين، قال تعالى في قصة النبي يوسف عليه السلام: «نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن» (المصحف الشريف - القرآن الكريم) فانه تعالى الذي يقص على رسوله الكريم هذا القصص تثبيتها له على طريق الدعوة ونصحا وتوجيها، ودعوة للتدبر وأخذ العظة.

ثانيا: قصة هابيل وقابيل:

تدور أحداث هذه القصة حول ولدي آدم عليه السلام (هابيل وقابيل) أولهما عرف بالتواضع والصدق والإيمان وثانيهما عرف بالكبر والضلالة والفجور.

وبداية القصة كما فسرها كثير من المفسرين، ترجع إلى أمنا حواء، فقد أنجبت عددا كبيرا من الذكور والإناث «فكانت تحمل في كل بطن ولدين، ذكر وأنثى، وأول ولدين وضعتهما، كان اسم الذكر منهما قابيل، واسم شقيقته الأنثى (اقليما)، وبعد سنتين وضعت هابيل وشقيقته لبوذا» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 147)

وأمر الله نبيه آدم أن يزوجه الذكر من كل بطن من أنثى من بطن غير بطنه، وهكذا أعلم آدم ابنه بضرورة اتباع شرع الله تعالى وطاعة أمره، رضي هابيل وامتنل لأمر الله، أما قابيل، فقد أعرض وصد بحجة أن شقيقته أجمل من شقيقة هابيل.

وأمام هذا العنت والصدود، طلب آدم من ولديه أن يقربا لله تعالى قربانين، ومن قبل قربانه فقد رضي الله عنه.

وقبل الله تعالى قربان هابيل، ولم يقبل كومة الحنطة الفاسدة التي قدمها قابيل، فازداد هذا الأخير تغيطا واشتعلت نفسه حقدا على أخيه، وأراد أن ينتقم منه، وأعينته الوسائل والسبل، وهنا وسوس له الشيطان بطريقة قتله لأخيه.

قتل الأخ أخاه إذن، وهي أول جريمة قتل تقع في الأرض، فصار من النادمين، ولكن هل ينفع الندم؟ أما آدم فقد غضب منه، لأنه اتبع الشيطان وعصى الرحمان، فكان حقا من الخاسرين، كما نال قابيل جزاءه خزيا في الدنيا، ونارا في الآخرة.

ثالثا: جماليات القصة:

1- الفكرة:

في القصص الديني تتحقق غاية أسمى وموعظة بالغة؛ مفادها بيان عظمة الخالق، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه، والإيمان بالله الخالق الوهاب وتأكيد قدرته وعظمته، و يجد الطفل في هذا القصص «إحدى الوسائل الإيجابية لتكوين العقيدة الدينية في نفوس الأطفال، وذلك لما لها من قيمة عظيمة في تهذيبهم وتقديم القدوة والمثل الصالحة التي ترسخ فيهم مبادئ الإيمان» (الوهاب، 2004/1425، صفحة 105) وفكرة القصة أو موضوعها هو الأساس الذي يقوم عليه بناؤها الفني، وفيه يتحدّد الهدف والغاية من تأليف الكاتب للقصة (قناوي، 1990، صفحة 149)

كما أن موضوع القصة يجب أن يكون بسيطاً وواضحاً، مناسباً لسن الطفل، متوائماً مع خبراته وتجاريه «وأن تكون ذات أبعاد إنسانية، أو قيم ومبادئ تعلي من شأن الحق والخير» (الرضا، 1993، صفحة 132)

استهلّ عبد الرزاق الكيلاني قصته بتمهيد للفكرة قبل عرضه للأحداث، وذكره للشخصيات، ومفاد هذه الفكرة أنّ الله لم يخلق الإنسان عبثاً، وإنما خلقه ليعبد الله، وللابتلاء، حتّى إذا ما أطاعه وأحسن، جعل له الجنة دار قرار، ومن أساء وكفر، كانت النار مآله ومصيره.

يقول الكاتب: «كانت الأرض هامة مستقرة، لا يعكّر صفوها شيء.. ولم يخلقها الله سبحانه وتعالى لتبقى كذلك، وإنما خلقها لتكون مكانا للدراسة والتعلم، ومكانا للامتحان والاختبار والابتلاء لبني آدم، ليرى الله سبحانه وتعالى - وهو أعلم - من يطيعه من بني آدم، فيعيده في الآخرة إلى الجنة التي خرج منها أبواه آدم وحواء، وليرى - وهو أعلم - من يعصيه ويطيع إبليس وجنوده، فيرسله في الآخرة إلى النار التي خلق منها إبليس وجنوده» (الكيلاني، 2012-1433، صفحة 147)

وقد ورد ذكر هذه القصة في كتاب الله تعالى، وتحديدًا في "سورة المائدة" إذ ورد قوله تعالى: «واتلوا عليهم نبأ بني آدم بالحقّ إذ قرّباً قريباً فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر، قال: لأقتلنّك قال إنّما يتقبّل الله من المتّقين» (المصحف الشريف - القرآن الكريم)

جماليات القصة القرآنية الموجهة للطفل (قصة هابيل وقابيل) أنموذجاً

أمّا العبرة من القصة فتكمن في: «من يعص الله تعالى ويعص والديه يحلّ عليه غضب الله سبحانه وتعالى وعلى ذريته في الدنيا والآخرة، ومن يطع الله تعالى ويطع والديه في رضا الله تعالى، يحلّ عليه رضا الله سبحانه وتعالى وعلى ذريته في الدنيا والآخرة، ومن ارتكب ذنباً لم يكن موجوداً من قبل، كمن يتقنن في تعذيب الأبرياء، ومن يتقنن في اختراع المهلكات والمؤذيات، يكون عليه إثمه وإثم من عمل به إلى يوم القيامة» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 153)

فاتباع أمر الله، والالتزام بأوامره من شيم المؤمن، كما أنّ طاعة الوالدين من طاعة الله سبحانه وتعالى، خاصة إذا كان نبياً من أنبياء الله تعالى.

2- الأحداث والحبكة:

كل قصّة تتكون من مجموعة من الأحداث والأخبار المترابطة فيما بينها بطريقة منطقية لتصل بالقارئ إلى نهاية مقنعة، وبالتالي تترك انطباعاً جيّداً في نفس الطّفل، فهي «تتكون من مجموعة من الوقائع الجزئية التي تربط ببعضها في نظام خاص حتّى تكون في مجموعها الإطار القصصي» (قناوي، 1990، صفحة 149)

والقاص الجيّد، هو من يجعل الأحداث تسير بشكل سلس ومتناسق، وتكون الحبكة متماسكة، وتأتي الأحداث مؤثرة وفعّالة، فتستميل الطفل، وتملك عليه وجدانه، وتتطور الأحداث وتتصاعد لتصل إلى «العقدة وهي المشكلة التي تظهر أثناء القصّة وتحتاج إلى حلّ وهي تثير في نفس القارئ الرغبة في الكشف ومعرفة الأحداث كلّها، حيث تتأزم الأحداث في شكل عقدة يجد الأطفال أنفسهم إزاءها في شوق للوقوف على الحل» (الوهاب، 2004/1425، صفحة 198)

أمّا الحبكة: فهي النقطة التي تتشابك عندها أحداث القصّة، ممّا يجعل القارئ في تشوّق ولهفة، ويدخل في الحبكة «ما يحدث من الشخصيات وما يحدث لها، وهي الخيط الذي يمسك بنسيج القصّة وبنائها، ممّا يجعل القارئ توّافا إلى متابعة قراءتها» (الوهاب، 2004/1425، صفحة 199)

وفي قصّة «هابيل وقابيل» تبدأ الأحداث من لحظة ولادة أبناء آدم وحواء ثم لما كبر الأبناء اشتد التنافس، وزادت الأحقاد في مرحلة البلوغ والزّواج بل يرجع الكاتب بالأحداث، إلى نزول آدم وحواء إلى الأرض و إبليس ليوسوس لهما «نزل آدم عليه السلام وحواء من الجنة

سامية بوعجاجة

إلى الأرض ليعمرها هو وذريته، ونزل إبليس أيضا بعد أن أمهله الله سبحانه إلى يوم القيامة، ليبتلي به عباده وليمتحنهم» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 147)

ثم تبدأ الأحداث فعليا مع مجيء أبناء آدم «وصارت حواء تحمل وتضع، وضعت أربعين ولدًا في عشرين بطنًا.. فكانت تحمل في كلّ بطن ولدين، ذكر وأنثى وأول ولدين وضعتهما، كان اسم الذكر منهما قابيل، واسم شقيقته الأنثى إقليما، وبعد سنتين وضعت هابيل وشقيقته لبودا» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 147)

ثم تتطور الأحداث وتتفاعل المشاهد، إذ يأمر آدم ولديه بالزواج من شقيقة الآخر، فيرفض قابيل بحجة أنّ أخته أجمل، ويصرّ على عناده رغم أن الأمر إلهي، وهنا تظهر العقدة، التي تتأزم بعد تقديم الأخوين قربانين لله تعالى «ولأنّ قابيل يعمل في الزراعة فقد قدّم كومة من الحنطة، ولكنها كانت فاسدة سيئة، ولأنّ هابيل يعمل في تربية الأغنام فقد قدّم أحسن كبش عنده» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 148)

ولأن الله تعالى أعلم بالأنوايا والسرائر، فقد قبل قربان هابيل، ورفض قربان قابيل. أمّا الحبكة؛ فتتمثل في تأزم الوضع بين الأخوين، فقد ملأ الحقد والغیظ والحسد قلب قابيل، وصار يتحين الفرصة المناسبة للانتقاص على أخيه، كما أنّ العلاقات بينهما وصلت إلى نقطة اللاعودة، وهنا يقرّر قابيل قتل أخيه؛ ولكن كيف يقتله؟ فهذا الأمر لم يحدث من قبل في الأرض «عند ذلك ظهر له إبليس اللعين، وبيّن له كيف يستطيع قتل أخيه، فأتى بطائر، ووضع رأسه على حجر، وأتى بحجر آخر فضرب به رأس الطائر الموضوع على الحجر، فمات الطائر.. فتعلّم قابيل كيف يقتل أخاه هابيل، وعند ذلك انتظر إلى أن نام هابيل، فوضع رأسه فوق حجر، وأتى بحجر آخر كبير فضربه به، فانكسر رأس هابيل ومات» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 150)

ندم قابيل حين رأى أخاه جثة هامدة، لكن الأحداث تزداد تأزماً مع جثة أخيه، فقد احتار ولم يعرف سبيلا للتخلص منها، خاصة بعد أن تعفنت وتحلّلت «وجاءت الوحوش والطيور لتأكل جسد هابيل، فصار قابيل يطردها، وغطّى أخاه بجلد، ثمّ حمّله على ظهره وأخذ ينتقل به من مكان إلى مكان.. ولا يدري ماذا يصنع به وبقي كذلك أربعين يومًا» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 151)

جماليات القصة القرآنية الموجهة للطفل (قصة هابيل وقابيل) أنموذجاً

أربعون يوماً وقابيل يحمل جثة أخيه، والروائح الكريهة تلازمه، وهو لا يهتدي إلى حل مناسب، ليتخلص منها، وجاءه الحل بغرابين «وبينما هو جالس إذا بغرابين يقتتلان، وظلاً يقتتلان حتى قتل أحدهما الآخر، وبعد أن قتله أخذ يحفر الأرض، ثم وضع الغراب القتيل في الحفرة وستره بالتراب.. فاندھش قابيل، وقال: ما أجهلني، أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأدفن أخي في التراب مثلما دفن هو رفيقه في التراب، حتى حملته على ظهري أربعين يوماً؟ ! وقام فحفر الأرض ودفن أخاه وستره بالتراب.. وكان عمر هابيل حينما قتل عشرين عاماً» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 151)

3- الشخصيات:

عنصر مهم في البناء الفني للقصة، وهي التي تتمحور حولها الأحداث، كما تبرز الفكرة وتجلبها.

والكاتب يهتم بالشخصية، فيبرز مناقبها، وصفاتها وسلوكها، والأدوار التي تقوم بها «وتظهر براعة الأديب في تحليل الشخصيات وإبرازها، بحيث تصبح حيّة أمام القارئ الذي يراها تتحرك، وأن يسمعها الطفل وهي تتكلم صادقة واقعية في الدور الذي تقوم به في القصة، حينئذ تجذب تعاطفه واهتمامه لما يحدث لها» (الوهاب، 2004/1425، صفحة 201)

والشخصية إما أن تكون من عالم البشر أو الحيوان، خيرة أو شريرة، وفي قصة «هابيل وقابيل» شخصيات رئيسية وهي: آدم وإبليس، وقابيل وهابيل. كما نجد شخصيات ثانوية وهي: حواء، وأقليما، لبودا، والغرابين.

ويصور الكاتب شخصيات القصة الرئيسية تصويراً بسيطاً، فآدم وحواء نزلا الأرض، بعد أن كانا في الجنة، عقاباً لهما لاتباعهما أمر الشيطان، لأكلهما من الشجرة المحرمة.

أ-آدم عليه السلام: مطيع لربه مؤمن به، وقد عمّر في الأرض مدة « ألف سنة، وعندما مات كان عدد أولاده وذريته أربعين ألفاً» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 147)

وهو حريص على ابنه، مشفق عليهما، من معصية الله، يعلم يقيناً أنّ ابنه «هابيل» على حق، ويخشى الله، أمّا "قابيل" فهو على باطل، ويسلك سبيل الضلالة، ولذلك فهو يقول لابنه قابيل: «أرأيت يا قابيل؟ إنّ الحقّ مع هابيل، ويجب أن يتزوج شقيقتك أقليما، وتتزوج أنت شقيقته لبودا، ألم تقتنع بعد؟ فقال قابيل: إنني لم أقتنع ولا أريد أن أقتنع، ولن أتزوج

سامية بوعجاجة

شقيقته، ولن أزوجه شقيقتي.. فقال آدم عليه السّلام: حسبي الله ونعم الوكيل منك يا عاص، ولن يغفل الله تعالى عنك» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 150)

وحينما قتل هابيل كان آدم عليه السلام في زيارة إلى بيت الله الحرام «وبعد أن عاد من الحجّ وعلم بما حدث، حزن حزناً شديداً، حزن على ابنه هابيل الذي قتل مظلوماً، وحزن على ابنه قابيل الذي عصى الله تعالى، وعصاه وأطاع إبليس، فأصبح من الظالمين.. وبقي آدم مئة سنة لا يضحك أبداً» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 152)

ب-أما إبليس (الشيطان الرجيم): فشخصيته حاضرة في كل تفصيلات القصة، فهو وراء نزول آدم وحواء من الجنة، وهو الذي وسوس لقابيل بعصيان أمر الله، وزين له قتل أخيه فقتله، ولم يكتف بذلك فأمره بالكفر بالله تعالى وعبادة النار «وهرب إلى بلاد اليمن قبل أن يعود أبوه آدم عليه السلام من الحج.. وفي اليمن أثاره إبليس، وزين له عبادة النار، فقال له: النار هي التي أكلت قربان أخيك هابيل، ولم تأكل قربانك، فيجب عليك أن تعبدها لكي ترضى عنك !! وهكذا صار يعبد النار هو وذريته وكفروا بالله تعالى» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 152)

ج- شخصية قابيل: كما صوّرها الكاتب، شخصية محورية شريفة، ولإبراز ملامح هذه الشخصية، فقد عمد إلى أساليب متنوعة «منها السرد المباشر، أو تسجيل حديثها، وحوارها مع غيرها، أو وصف أفكارها ومشاعرها، أو عرض أفكار الآخرين عنها أو تقديمها من خلال أفعالها فتنبئ الأحداث عنها» (الرضا، 1993، صفحة 136)

فهو شخص عاص لله، عاق لوالديه، مطيع لأهوائه، عبد لشهواته، حسود، غيور، كما كان «يعمل في الزراعة، فكان يزرع الحنطة والشعير والحبوب.. وكان قابيل مشاكساً، كثيراً ما يخالف أباه وأمّه ولا يطيعهما» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 148)

د-هابيل: هو على النقيض من أخيه تماماً، كان مؤمناً بالله تعالى، مطيعاً لأوامره مخلصاً في عبادته، صاحب نفس رضية، مستسلمة لقضاء الله وقدره، محباً لأخيه، لا يضمّر له العداوة ولا البغضاء، وهو مثال للمؤمن الصادق، وكان يحترف تربية الأغنام والمواشي «وكان صالحاً مطيعاً، لا يخالف أباه وأمّه أبداً» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 148)

ولأنّه مخلص في إيمانه، فقد قبل الله منه قربانه، ولمّا هدده أخوه بالقتل، قال له: أما أنا فلن أقتلك، لأنني أخاف الله ربّ العالمين « واستغل قابيل غياب أبيه آدم عليه السّلام،

جماليات القصة القرآنية الموجهة للطفل (قصة هابيل وقابيل) أنموذجاً

فأتى إلى أخيه هابيل، وقال: أريد أن أقتلك لأتخلص منك، لأنَّ الله سبحانه وتعالى قبل قربانك ولم يقبل قرباني، فقال له هابيل: إنَّ الله يقبل من المتقين الطائعين، ولا يقبل من العاصين.. وإن كنت تريد أن تقتلني فأنا لا أريد أن أقتلك، وإن قتلتني ستحمل ذنبي في عنقك» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 150)

هـ- **حواء:** شخصيتها ثانوية، لا تتضح ملامحها، ولا نكاد نسمع لها صوتاً، فهي رفيقة آدم عليه السلام في الجنة وفي الأرض، وانحصر دورها على الإنجاب ورعاية الأبناء «فكانت تحمل في كلِّ بطن ولدين، ذكر وأنثى.. وأول ولدين وضعتهما، كان اسم الذكر منهما قابيل، واسم شقيقته الأنثى أقيما، وبعد سنتين وضعت هابيل وشقيقته لبودا.. وآخر ولدين وضعتهما كان اسم الذكر منهما عبد المغيث واسم الأنثى أم المغيث» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 147)

و- **الأختين:** شخصيتهما ثانوية، واقتصر دورهما على امتثال أمر أبيهما في الزواج من أحد الأخوين، فأمر «آدم عليه السلام قابيل أن يتزوَّج من لبودا شقيقة هابيل، وأمر هابيل أن يتزوَّج من أقيما شقيقة قابيل» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 148)

ي- **الغرابين:** هذين الطائرين، علماً قابيل طريقة دفنه لأخيه، ومن خلالهما أراد الله تعالى أن يعلم الإنسان ضعفه وعجزه وقلة حيلته أمام نواميس الكون - خاصة الموت - يقول الكاتب: «وبينما هو جالس (قابيل) إذا بغرابين يقتتلان، وظلاً يقتتلان حتى قتل أحدهما الآخر، وبعد أن قتله أخذ يحفر الأرض، ثم وضع الغراب القتيل في الحفرة وستره بالتراب.. فاندھش قابيل، وقال: ما أجهلني ! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأدفن أخي في التراب مثلما دفن هو رفيقه في التراب، حتَّى حملته على ظهري أربعين يوماً؟!» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 151)

4- البيئة الزمانية والمكانية:

تدور أحداث القصة في حيِّز جغرافي وفي زمن معين «كلما كانت القصة ذات بيئة محددة، وزمان ومكان معروفين كلما كانت أكثر إقناعاً للأطفال، لاسيما إذا كانت هذه المعالم مألوفة للطفل أو في مستوى إدراكه، بالإضافة إلى أنَّ مكان القصة وزمانها يؤثران في موضوع القصة وأحداثها وشخصياتها» (الرضا، 1993، صفحة 134)

سامية بوعجاجة

أ-المكان: في بداية قصة «هابيل وقابيل» لم تحدد معالم المكان ولا ماهيته، فهو مكان مفتوح، لأنه يتعلّق بالأرض، فأدم عليه السلام، كان يسكن الجنة، يتقيّاً ظلالها، ويتنعم بخيراتها، ينعم بالطمأنينة وراحة البال، ولما وسوس له الشيطان «نزل آدم وحواء من الجنة إلى الأرض ليعمرها هو وذريته، ونزل إبليس أيضاً..» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 147) ولم يحدد الكاتب المكان الأول الذي استوطنه آدم، مع أنّ بعض النصوص الدينية تشير إلى نزوله بالهند، وقد يكون الأمر رغبة من الكاتب في التأكيد على أنّ الأرض كلّها مكان ابتلاء وامتحان، وعلى الإنسان أن يستعد للرحيل عن هذه الأرض، وأن يعمل حسناً ليكون جزاؤه جنات النعيم.

ثم يحدّد بعد ذلك مكانين بعينهما: أولهما الحجاز، فأدم عليه السلام سافر «إلى الحجاز ليحجّ إلى الكعبة المشرفة، قبل أن تهدم بطوفان نوح عليه السلام» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 150)

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أن بيت الله وضع للناس، مع بداية الخليقة، وكان الأنبياء والصالحون يحجون إليه، ويتعبدون الله فيه.

أمّا المكان الثاني: فهو اليمن، فقابيل بعد أن قتل أخاه، وارتكب جريمته الشنعاء، وقبل عودة آدم من الحجّ، هرب إلى اليمن «وفي اليمن أتاه إبليس، وزين له عبادة النار، فقال له: النار هي التي أكلت قربان أخيك هابيل، ولم تأكل قربانك، فيجب عليك أن تعبدها لكي ترضى عنك!» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 152)

فقد هرب من أرضه بعد ارتكابه لمعصية القتل، ولجأ إلى مكان آخر ليرتكب فيه أعظم معصية وهي الإشراك والكفر بالله تعالى.

ب-أمّا زمن القصة: حدث مع بدايات الخليقة، في زمن سيدنا آدم وأمنا حواء، كما أنّ حادثة القتل بين الأخوين، أوّل حادثة تحدث في تاريخ الإنسانية. ويحدّد الكاتب ملابسات جريمة القتل في "الليل"، فقد استغل قابيل لحظة خلود أخيه للنوم، ليحيك خيوط المؤامرة، وينقض عليه كوحش مفترس فيقتله «وعند ذلك انتظر إلى أن نام هابيل، فوضع رأسه فوق حجر، وأتى بحجر آخر كبير فضربه به، فانكسر رأس هابيل ومات!..وعندما رأى قابيل الدّم يخرج من رأس أخيه هابيل، خاف وصار يناديه: هابيل، هابيل، ردّ عليّ، لماذا لا تكلمني؟

جماليات القصة القرآنية الموجهة للطفل (قصة هابيل وقابيل) أنموذجاً

تحرك، قم.. ولكن هابيل لم يتحرك ولم يقم ولم يتكلم، فقد مات» (الكيلاني، 2012-1433، الصفحات 151-150)

كما يصور الكاتب جثة هابيل التي حملها قابيل مدة أربعين يوماً، لا يدري ماذا يصنع بها، وأين يضعها «وفي أحد الأيام، جلس قابيل ووضع إلى جانبه أخاه هابيل بعد أن تعب من حمله على ظهره، وصارت الزوائح الكريهة تخرج من جثة هابيل، بعد كل هذه الأيام» (الكيلاني، 2012-1433، صفحة 151)

وحين يقول الكاتب: (في أحد الأيام)، أي بعد مضي هذه الفترة الطويلة، حاملاً الجثة على ظهره، وقد تعفنت، وانتشرت الزوائح الكريهة في كل مكان، هنا لاحظ اقتتال الغرابين، واهتدى إلى فكرة دفن أخيه في التراب، والكاتب يضبط سن هابيل، فقد قتل، وهو في ريعان شبابه «وكان عمر هابيل حينما قتل عشرين عاماً» (الكيلاني، 2012-1433، صفحة 151)

أما قابيل فقد مكث سنينا طويلة بعد أخيه، ونال جزاء عمله، بأن مات بالطريقة نفسها التي قتل أخاه بها، وهكذا خسر الدارين، وأتبعته ذريته ضلالة وفجوراً ومعصية «وفي أحد الأيام بعد أن كبر قابيل، بينما كان جالساً مستنداً إلى الجدار، كان أحد أولاده يلعب برمي الأحجار، فجاء حجر على رأس قابيل فكسره فمات، وهكذا مات قابيل بالطريقة نفسها التي قتل بها أخاه هابيل، أما ذريته فقد استسلمت للهو والفجور وشرب الخمر والفواحش بعد أن حلّ عليهم غضب الله تعالى وغضب آدم عليه السلام» (الكيلاني، 2012-1433، صفحة 152)

أما آدم عليه السلام، فقد عوّضه الله خيراً في فقدته لابنه هابيل «وبعد مقتل هابيل بخمسين سنة ولد شيث بن آدم، وكان عمر آدم عليه السلام عندما ولد شيث مئة وثلاثون سنة، وقد شبّ شيث صالحاً تقياً، وأصبح نبياً بعد أبيه آدم». (الكيلاني، 2012-1433، صفحة 154)

وهكذا فقد وفق صاحب كتاب حكايات «كان يا ما كان» في توظيف النص القرآني، والالتقاء على القص الرّباني، فجاءت حكاية «هابيل وقابيل» دقيقة في موضوعها، جيّدة في لغتها، متماسكة اللفظ والعبارة، سامية في غاياتها، توخى صاحبها البساطة في التعبير، وعمق المعنى، مع الاختصار والإيجاز (لا تتجاوز الست صفحات). وهذا رغبة منه في التأثير في

سامية بوعجاجة

المتلقي -خاصة الطفل- حتى يشبّ على أقوم السبيل، ويسير سيرة صلاح وصدق، ولن يتأتى ذلك إلاّ عن طريق القصة الهادفة والحكاية الجميلة، أو كما قال الكاتب في مقدمة كتابه «فلنستغل هذه النزعة فيهم، ولنختار لهم القصص والحكايات الهادفة التي تبين لهم الصواب من الخطأ، والخير من الشر» (الكيلاني، 1433-2012، صفحة 10)

وتبقى القصة القرآنية معينا لا ينضب، وزاداً لا يملّ منه للدارس والباحث، والقاص، والمسلم، والطفل، كما أنّ السرد القرآني منبع ثرّ في تربية ذائقة أبنائنا وشبابنا المعاني الفنية والقيمية والنفسية.

- المراجع:

1. أحمد سمير عبد الوهاب. (2004/1425). *قصص وحكايات الأطفال وتطبيقاتها العملية*، (المجلد 1). عمّان: دار المسيرة.
2. سعد أبو الرضا. (1993). *النص الأدبي للأطفال (أهدافه ومصادره وسماته)*، رؤية إسلامية، (المجلد 1). الأردن: دار البشير للنشر والتوزيع (رابطة الأدب الإسلامي العالمية).
3. سورة المائدة ، الآية 27 المصحف الشريف - القرآن الكريم. (بلا تاريخ).
4. شحاتة محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، السيد. (د ت). *قصص القرآن*. بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، دار الجيل، بيروت.
5. صلاح الخالدي. (1998-1419). *القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث*، (المجلد 1). دمشق -بيروت: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.
6. عبد الرزاق الكيلاني. (2012-1433). *حكايات كان يا ما كان* (المجلد 4). دار القلم، دمشق.
7. محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، و السيد شحاتة. (بلا تاريخ).
8. محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، و السيد شحاتة. ((د ت)). *قصص القرآن*. بيروت: دار الجيل.

جماليات القصة القرآنية الموجهة للطفل (قصة هابيل وقابيل) أنموذجاً

9. محمد السيد حلاوة. (2005). *الأدب القصصي للطفل (منظور اجتماعي نفسي)*. مصر: مؤسسة حورس الدولية.
10. هدى قناوي. (1990). *أدب الأطفال (المجلد 1)*. مركز التنمية البشرية، الاسكندرية، مصر.